ساعة الناقد

أ.د. عقيل مهدي يوسف

يعد الشطار من ناشطي المسرح العراقي برامجهم خلف الكواليس، بعد ان قلصوا المنافسات الشاسعة ما بين المركز والاطراف العالمية، فتمت هندسة (الدعوات) وإقامة (الورشات) وشرعوا، وبمثابرة بينة لتحفيز مؤسسات المجتمع المدني والخلايا المانحة، وبعثوا الدعوات واستلموا أوامر الايفادات وهذه ظاهرة جديدة على مناخ مسرحنا، ربما سيتم تقويمها لاحقاً، لكنها لا تخلو من ايجابيات يعود نفعها على الصالح العام، كما يفترض طبعاً.

ومما يقتضيه هذا السياق الانفجاري في الذهاب والأياب الأخذ بنظر الاعتبار الفعالية (النقدية).

لان الناقد المسرحي، هو حارس بوابة الابداع، وهو ذاكرة الشعب الخاصة بتراثه الروحي والجمالي، والسباق إلى تكريس المساواة بين مختلف الطبقات الشعبية، والحريص على اكتمال صورة (المتفرج) في عموم المشهد المسرحي، وهو لا يحابي أو يجامل الحق حين يتم انتهاز الفرصة، وتغييب الموهوبين، في هذا النشاط أو ذاك. وهو بخلاف المنتفعين والطبالين، لا ينفخ بمزمار أو (خرخاشة) طفولية، أو حرق البخور لعروض موهومة تجري في دمائها نغمة ملوكية زرقاء!! انه بعيد كل البعد عن التهليل الطوباوي، لاشتراكية يتساوى فيها المبدع الحقيقي، والزائف سبق في سياق آخر لـ (انجلز) ان انتقد مثل هذه الطوباوية، التي كان يسميها (موسيقى المستقبل التي تعزف بزمارة) يتلهى بها الاطفال.

ان النقد الحقيقي يبحث عن تأثيث فضاءات مسارحنا بجمهوره الحقيقي، بسحناته العراقية، بآلامه وآماله وهو يخوض أعتى محنة ابتكرتها السياسة (الكونية) ليتخطى عقبات أمنية واقتصادية واجتماعية وتربوية.. وليحظى بحقه الوجداني في حقل الجماليات الرفيعة، التي تليق بعمقه الحضاري وتحديات العصر. ان شعبنا العراقي، ونظامه الاجتماعي الجديد، قادران على ابتداع الفن من خلال ترجمة أحلامنا إلى عروض مسرحية، تضعها في راس اولوياتها، ولا تسمح الفعالية النقدية بالممارسات التي تشحن بضائعها المسرحية في حقائب سفر، بدلاً من ان تفتح إذرعها لجمهورها الذي ينتظرها. ايضاً. بشوق غامر، خلال الموسم المسرحي، لان الفن المسرحي لن يكون موفوراً في غناه الروحي وفي موقفه من الواقع التطبيقي، ان لم يعزز وظيفته في حياة المجتمع، وسيفقد مغزى (شعبيته) التي لن تكون الجوائز بديلاً عنها، مهما كانت الذرائع والمبررات الواقفة خلفها.

صحيح ان الجمهور يشكو من ظواهر سلبية عدة، لكن تاريخنا الوطني يحفر بتياراته العميقة أفقاً جديداً، بعيداً عن الاضطراب الفوقي. (ان المسافر المكتئب. كما يصف هيردر. لا يرى امامه سوى جزء من الطريق، ولو أنه أدار بصره وأقام مقارنة محايدة بين العصور، لا سيما القريبة من زماننا، ووازن بين الصواب والحق لانحسر عنه أكثر الشك). ان الناقد حسب توصيف (سانت بيف) هو رجل تسبق ساعته ساعة الناس خمس دقائق. هذا المعنى الاستباقي للناقد يجعل منه صاحب مشروع حضاري لا يمكن تجاوزه وله الحق مثل زميله الفنان للاشتراك في تلك الفعاليات للتزود بالخبرة، لكنه لا يجعل من سفرته تجربة مقطوعة، بل انه ينقل معارفه النقدية والتنظيرية إلى جمهوره، ليحقق الإثراء المطلوب تداوله بين الناس فالمسرح مؤسسة اجتماعية، وهي من خلق المجتمع، وعليه تقع واجبات محددة في ان يخاطب جمهوره الخاص. من زاوية هذا الحرص، نتمنى لمبدعينا العودة الميمونة إلى بلدهم وهم أكثر اصراراً ومثابرة على تقديم عروضهم للناس، لكن من ناحية ثانية، تبقى الصورة ناقصة بلا فعالية نقدية رصينة ترافق هذا المنجز، فالمسرح من حيث (الابداع) و(النقد) يحقق اهدافه التطبيقية والنظرية، واحدها يرفد الآخر ويحفزه على التطوير في ظروف جيدة ينبغي على المسؤولين الحرص على تكريسها عند تسمية الفرق والجماعات الموفدة والاعتناء الدقيق باختيار (ناقد) مسرحي مرموق، يسهم في تحديث خطابنا المسرحي.

احتفالية ثقافية

احتفاء باللبوة الجريحة .. نزيهة سليم والحرية الأوسع

فضيلة يزل

اقيمت قبل أيام على قاعة غائب طعمة فرمان في مبنى دار الشؤون الثقافية العامة أحتفالية للفنانة التشكيلية الرائدة (نزيهة سليم) احتفاء بتجربتها الإبداعية الرائدة وتقديراً لمسيرتها المتميزة . تلك اللبوة الجريحة، رائدة الفن التشكيلي في العراق، صورة المرأة العراقية الحرة، سليلة عائلة فنية عريقة ، ابنة محمد سليم الضابط الذي عاد من استنبول أيام تأسيس الدولة العراقية، وأسهم مع مجموعة من الفنانين في وضع اللبنات الأولى لفن التشكيل العراقي. أخت جواد سليم ونزار سليم، توأم نصب الحرية، الفنانة التي ساهمت مع عائلتها في تطوير حركة الفن التشكيلي في العراق، فكانت لها بصمتها المميزة ليس في رسم الحياة البغدادية فقط، بل في رسم الحياة في جميع المدن العراقية وخصوصاً الجانب الاجتماعي منها، وعالم المرأة تحديداً .

في بداية الأحتفالية تحدث الناقد (عادل كامل) عن حياة الفنانة نزيهة سليم فقال :

ان تاريخ هذه الفنانة يرتبط بتاريخ عائلة كل فرد مبدع فيها، ما اتاح لها فضاء واسعاً للتحليق والطيران عالياً فقد سافرت في الأربعينيات الى فرنسا كممثلة للمرأة العراقية لتعود بشهادة فنية نقلتها الى تدريس الفن في اكاديمية الفنون الجميلة بعد ان كانت مدرسة في أحدى مدارس بغداد للبنات. وبسبب ما اتيح لها من أجواء فنية عائلية، ومجال واسع من الحرية، وبسبب موهبتها الراقية، ابدعت الفنانة في تقديم أعمال رائعة فكانت اسماً لامعاً في حركة الفنانين الرواد وحركة الفن الحديث وقد تميزت اعمالها بالإبداع فهي أول من صور المرأة، واستوحت تراث العراق العظيم، وكونها امرأة ادركت ما هي الحرية استطاعت ان ترتقي بالأبداع العراقي الى مستويات رفيعة وأينما تكرم (نزيهة سليم) يكون تكريماً للمرأة العراقية، وقد علمنا انه سيقام احتفال تكريم لها ولعائلتها في برلين بعد اسبوع.

واستطرد الناقد عادل كامل قائلاً : ان نزيهة سليم نموذج لمجموعة من العلاقات بين الأزمنة، والحديث عنها حديث عن الحرية، والحديث عن الحرية حديث عمن يصنع هذه الحرية.

أما القاص حميد ياسين فقد تحدث عن تجربة آل سليم فقال:

ان رسالة جواد سليم كانت احداث طفرة في الفن التشكيلي العراقي ضمن الفن الحداثوي العالمي ، إذ انه سعى إلى خلق مدرسة عراقية لها طابعها الخاص على الرغم من انها ظلت تمارس الأسلوب الذي كان سائداً في بداية القرن العشرين فقد استطاع جواد سليم ان يمزج بين الفن الأوربي والفن العراقي القديم ويتجلى ذلك واضحاً في طبيعة الفكر العام لدى سليم، وقد تمثل في جدارية نصب الحرية اما نزيهة فقد كانت تتبع في اسلوبها فن بيكاسو وسيزار، لكن في بداية القرن العشرين تحول الفن الى الحداثة وتحولت نزيهة مع هذا التحول العالمي في الفن، وهنا لا بد من الاعتراف بدورها كواحدة من الرواد الذين قاموا بمواكبة الحداثة والتطوير في الفن التشكيلي في العالم وليس في العراق فقط، وكغيرها من الفنانين الرواد بقيت نزيهة سليم تلتزم بالموضوع ومعالجته بصيغة فنية رائعة، بعيداً عن مغريات التجديد التي أهملت الموضوع كلياً.

كما تحدث الناقد التشكيلي نزار الراوي / رئيس جمعية الفنون البصرية المعاصرة عن دور الفنانة نزيهة سليم في مساهمتها في تأسيس جمعية الفنون البصرية المعاصرة قائلاً :

لقد كانت الفنانة أول من شجع الفنانين الشباب على تأسيس هذه الجمعية وقد أولتها الاهتمام الكبير واستوعبت بوعي معمق ما يحتاجه الشباب بالرغم من الظروف السياسية التي كان يمر بها العراق.

كما أشار السيد نزار الراوي إلى ان شركة انتاج فنية ستقوم بأنتاج برنامج وثائقي بعنوان (رائدات العراق) عن الفنانة ضمن سلسلة برامج تتحدث عن النساء المبدعات في العراق.

أما الأستاذ مؤيد البصام فقد تحدث عن الأختلاف بين لوحة جواد سليم ولوحة نزيهة سليم وقال:

لقد التزم جواد الخط البنائي الفني الشكلي الذي امتاز بالصلابة والقوة بينما اتبعت نزيهة الأسلوب نفسه إلا ان رسوماتها امتازت بالرقة والسلاسة، وربما يعود هذا إلى كونها امرأة.

القاص والناقد محمد مبارك تحدث عن جذور تجربة الفن التشكيلي لدى نزيهة سليم قائلاً :

لقد نشأت الفنانة في عائلة مبدعة، كانت شاهده على قدرات الأنسان العراقي الأبداعية ، وقد استمدت خطوطها من التراث العراقي القديم، واستلهمت فنها من معطيات الفن السومري والبابلي والآشوري.

أما الشاعر حسن عبد راضي فقام بقراءة بعض ما كتبته فاطمة المحسن في جريدة الصباح الجديد بعد أجرائها لقاءً خاصاً مع الفنانة نزيهة سليم والذي تضمن :

" ها انا أدخل القصة من زاوية أخرى بدت أكثر تراجيدية، نزيهة سليم بثيابها الرثة وسط باحة بيت بغدادي قديم، كل شيء فيه ترك كما هو منذ عقود طويلة، وهي بالكاد تحمل بقاياها لتواجهنا بما تبقى لها ولبيتها من تاريخ، أرث عائلة أنجبت مجموعة من الفنانين وأسست لمدرسة سميت في كتب النقد مدرسة الرواد، ثم مدرسة بغداد للفن الحديث. كانت تتصدر جدار الباحة الأيسر لوحة زيتية لمنظر طبيعي بتوقيع محمد سليم مؤرخة في العام ١٩٣٤، ولوحة أخرى لعازف غيتار رسمها جواد سليم لأستاذه الأسباني في الأربعينيات، وعلى الجدار الأيمن وضعت نزيهة سليم لوحتها (اللبوة الجريحة) ورسمتها في الثمانينيات".

كنت أحاول ان لا استبق الأمر بسؤال يلح عليّ : " قبل أكثر من عشرين عاماً سمعت ان هذا المكان سيتحول إلى متحف يحفظ تراث العائلة، فلماذا تحول إلى خربة؟" لكني أثرت الصمت بعد ان شلتني المفاجأة.

قالت : كنت وحدي في البيت عندما حدثت الحرب، كان القصف يعصف بالبيت، وأنا بدون طباخ أو ثلاجة، ولا أملك حتى راديو كي أعرف الأخبار ، كنت وحدي خائفة ولا أحد سأل عني".

وتحدثت الفنانة نزيهة سليم عن بدايتها فقالت :

"في البداية احتضنني والدي وكنت اقلده في الرسم، ثم أصبحت اقلد جواد واستهدي به. أذكر مرة عرضت عليه لوحتي (سوق الصاغة) واسلوبها يتبع اسلوبه أي بغدادياته، فأدار وجهه ونظر بعصبية وقال: لماذا تقلدين عملي. قلت : لأنني أحببت هذا الأسلوب. فقال : لن يصدق الناس انها من عملك وسيقولون أنني رسمتها لك ووضعت عليها أسمك".

" كان والدي استاذي الأول ، ثم عند دراستي في البوزار في الأربعينيات تأثرت بأستاذي فرنارد ليجيه الفنان المعروف ثم عملت بررتريتات تأثراً بموديغلياني وأسلوبه. عندما عدت الى بغداد في الخمسينيات، استأنفت مشروع رسم النساء، الذي بدأت به على النهج الواقعي أو الأمر، أعطي للريفيات وبائعات اللبن مبلغاً من المال وأطلب منهن الجلوس أمامي، وقد رسمت أيضاً كل صديقاتي وطالباتي، فكانت بعض معارضي تتسبب باشكالات عائلية، فالعوائل المحافظة ترفض رسم صور بناتهن، فاضطر الى الأمتناع عن عرضها، وهكذا كنت اذهب انا إلى الأسواق والجوامع والطقوس الشعبية ومنها عزاء الحسين والأعراس وغيرها. كانت الحياة في عراق الاربعينيات والخمسينيات تضج بالفن والمعارض والثقافة، وكنت أشارك فيها وتدفعني الى مزيد من الجدية والأهتمام بعملي. ومع أنني بدأت كمدرسة للبنات ببغداد بعد تخرجي من معهد المعلمات ، إلا ان عودتي من باريس بشهادة فنية نقلتني الى تدريس الفن في اكاديمية الفنون، فتخرجت أجيال من الفنانين على يدي وبينهم من أصبح مشهورا. كنت مهتمة بالجانب الأجتماعي من الحياة العراقية فذهبت الى المدن والأرياف بصحبة الفنانين، كنا نطلب المواضيع ونستمدها ليس من الحياة البغدادية فقط، بل من كل المدن العراقية حتى الأهوار كنا نذهب اليها ونصورها كي نعود بحصيلة جديدة.

وتواصل فاطمة المحسن الحديث عن نزيهة سليم فتقول :

" نزيهة سليم من أوائل الفنانات العراقيات المشاركات في النهضة التشكيلية التي بدت معالمها تتوضح في الأربعينيات والخمسينيات ولم تسبقها أو تعاصرها سوى الفنانة مديحة عمر التي ادخلت الخط الى اللوحة قبل كل الفنانين العراقيين، وحاولت التنظير لهذا الأجراء.

لعل نزيهة سليم في وحدتها الآن ، وفي هذا البيت الذي يوشك على الرحيل ولا يشفع له ماضيه العريق، تمثل مشهداً واحداً من مشاهد العراق، سفينة تصارع الموج بدون صوار ولا عدة تقذف بها الى بر الأمان.

في ختام الاحتفالية أهدى السيد مدير الدار باقة ورد للفنانة (التي اعتذرت عن الحضور بسبب وعكة صحية) تسلمها نيابة عنها السيد نزار الراوي. في الوقت ذاته تسلم السيد (ماجد أسد) وسام جمعية الثقافة للجميع الذي قام بتسليمه للسيد المدير فلاح الآلوسي ممثل جمعية الثقافة للجميع.

وقد ارتأت الدار ان ترسل وفداً يزور السيدة نزيهة سليم في دارها ويتمنى لها الشفاء ودوام الصحة ، وقد ابدى السيد (ماجد أسد) رغبته في ان يكون على رأس هذا الوفد.

وتمخضت هذه الاحتفالية في طرحها بيانا قرأه على السادة الحضور الشاعر حسن عبد راضي وكان نصه :

"بأسم دار الشؤون الثقافية العامة وبيت الشعر العراقي وبأسم المثقفين الذين يجتمعون اليوم للأحتفاء بهذه الفنانة الرائدة وتكريمها، ندعو وزارة الثقافة إلى أيلائها من الرعاية والأهتمام ما يفي هذه الفنانة وعائلتها ذات الأثر الكبير في ثقافتنا العراقية المعاصرة حقهم من العرفان لما انجزه وما قدموه لنا جميعاً.

كما ندعو مع الدكتورة فاطمة المحسن الى تحويل منزل آل سليم إلى متحف فني ثقافي لهم يضم أعمالهم الفنية وكتاباتهم وكل الأشياء التي تعاطوا معها، فضلاً عما كتب عنهم والجوائز والشهادات التي حصلوا عليها.

آملين ان تتبنى الوزارة هذه الدعوة بوصفها مطلباً وطنياً وليس مطلباً ثقافياً فقط.

حرائق خاطئة

محمد الحمراني

الى جوني سليمان

متورمة وذليلة حقائبي
كلما اسكب عليها الماء
لايصلها الضوء
..تصلها أوساخ
ومسامير تغطي جسدي
ومثل امراة تترقب شاحنة..
تسير ببطء على احد اولادها..
اترقب الحقائب
أضع أوردتي مفاتيح لها
واتلمس الاحلام وهي تنتفخ
انا رجل اعمى...
أبصرت مرة
على حافة ناطحة للسحاب
فهويت.
كلما اهرول في طريق ما
اجده مقبرة
تبكي فيها القبور
الأقبر واحد يمد عنقه اتجاهي
انا والحقائب
نهرول مثل كلاب مسعورة
سئمنا انتظار الأسنان في فم الارصفة
ولهذا ابحث عن الاشجار
لعلها تتنفس...
انها اشجار طفولتي الجريحة

مسكها مجنون وقشرها
....اليوم
لااصدق ان هذه الاقدام الذابلة لي
وهذا الشعر المبعثر شعري
حتى وجهي لايشبه وجه ابي
حين ينظر بغضب الى الحقائب
تخرج رائحة تشبه اطارا يحترق
فاصرخ بوجهي..
انتظر...
انتظر...
انها طفولتي التي لاتحب
الحرائق

بغداد مدينة السلام ... تاريخ وحكايات

غسان كاظم

من الكتب القيمة التي أصدرتها (دار المدى) العدد (١١) مؤخراً، ضمن سلسلة (الكتاب للجميع) كتاب (بغداد مدينة السلام) للاستاذ طه الراوي، الذي نشرت طبعته الأولى عام ١٩٤٧، مما تعذر على القارئ الحصول عليه.. استهل الراوي كتابه عن بغداد بتمهيد تطرق فيه إلى اتفاق المؤرخين وأهل اللغة على ان لفظة (بغداد) أعجمية، لذلك اختلفوا اختلافاً كبيراً في ضبط حروفها، اذ زعم بعضهم ان هذا اللفظ مركب من كلمة (بغ) وهو البستان و(داد) وهو اسم صنم للعجم، فيكون المعنى (بستان صنم)، ويرى بعضهم ان (داد) اسم رجل فيكون المعنى (بستان رجل)، فيما يرى اخرون غير ذلك، حيث لا يخلو اصل اشتقاقها من الشك والتخمين والاختلاف، ومن اسمائها العربية، (مدينة السلام)، (دار السلام) اذ كانت تضرب النقود العباسية بهذا الاسم، ومن اسمائها (مدينة المنصور)، (الزوراء)، (دار الخلافة)، ثم يأتي الفصل الأول بعنوان (شذرات من سجايا البغداديين وشمائلهم)، مفتتحاً بالقول: امتاز البغداديون بضرب المثل بالظرف فكان الناس يقولون، ظرف بغدادي، وكذلك الميل للطرب، اذ عرف البغداديون بهذه الخصلة وكان الاكابر منهم يأخذون انفسهم بضروب من اللهو البريء، وقد رويت روايات وبسطت حكايات وصنوف الملهيات ويشير المؤلف بالرجوع إلى كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان فانك تجد فيها ما يبهرك.. مثلما عرف البغداديون بالعناية بالنظافة، وكانوا مضرب المثل في نظافة الاجسام والثياب والمساكن والطرق، لذا اكثروا من الحمامات والانهار والسواقي، وكل وسائل التنظيف والتطهير والاناقة في الملابس والمطاعم والمساكن. اما خصال السخاء والأريحية، فالامثلة كثيرة في هذا الباب من كرم العامة والخاصة لأهالي بغداد، وأخبارهم في هذا الشأن غصت بها كتب السمر ودووين التاريخ.. فيما جاء الفصل الثاني خلاصة (للتاريخ السياسي لبغداد) موزعاً على ثلاثة أبواب، الباب الأول: العهد العباسي مبتدئاً بانشاء بغداد وينتهي بسقوطها بأيدي المغول. والباب الثاني: العهد المغولي وما أعقبه من تطورات إلى عهد الاحتلال الانكليزي. اما الثالث: فيمثل حقبة الاحتلال الانكليزي وما اعقبه من تطورات. ويؤكد المؤلف ان تاريخ بغداد السياسي هو تاريخ الخلافة العباسية، ان لم نقل تاريخ العالم الاسلامي خلال القرون الخمسة من سنة ١٥٠ هـ إلى ٦٥٦هـ، ويرى ان اطوار العظمة والأزدهار كانت ما بين (١٤٥ . ٢٤٧) في تولي تسعة من الخلفاء، أولهم المنصور وآخرهم المتوكل، ستة منهم اتخذوا بغداد عاصمة لهم، وثلاثة انتقلوا إلى سامراء فاتخذوها مقراً، وهم المعتصم والواثق والمتوكل.. وقد وصلت بغداد إلى الذورة في قمة مجدها، ومنتهى فخارها في عهد الرشيد، حتى صارت كأنها مدن متلاصة تبلغ الأربعين، وبلغ سكانها نحو مليوني نسمة، ودرت عليها الخيرات من جميع الاقاليم، ثم ينتقل المؤلف إلى عرض العهود المتعاقبة والاحتلالات على نحو من الايجاز التي عاشتها بغداد، كالعهد الديلمي، السلجوقي، المغولي، الجلائري، الصفوي، العثماني، وصولاً إلى الاحتلال الانكليزي في ١٠/ آذار/ ١٩١٧.. اما الفصل الثالث فبحث فيه المؤلف (الخطط والآثار) لمدينة بغداد بما فيها من محلات قديمة ومساجد، مثل مسجد براثا، ودار الخلافة، الرصافة، جامع أبي حنيفة، جامع الخلفاء، وكذلك المدارس كالمستنصرية، ومدرسة مرجان، اضافة إلى المتاحف، والمكتبات، القصور، والأنهر، والجسور، والحمامات، والكثير من ابرز مظاهر المدينة التي عاشت ازدهارا وثراء قبل موجات وحقب الاحتلال، ويجد القارئ في كل ذلك المتعة إلى جانب المعلومات الثرة المتنوعة، على الرغم من صغر حجم الكتاب، لما فيه من سياحة جميلة لمختلف الشؤون بما فيها الفنون والسياسة والأدب والعمران والتاريخ.